داء المفاصل وسببهُ

شاع اسم المكروب حتى بين العامة لكنهم تصوروهُ على غير حقيقتهِ فلا يندر ان تسمع الواحد منهم يقول لك انهُ رأى مكروبًا اكبر من الفارة وقد يحسب أن دود القطن من المكروبات . وهذا خطأٌ في حقيقتهِ لان المكروب اسم لانواع من الاحياء الصغيرة التي لا ترى بالعين لصغرها وقد لا ترى بالمكرسكوب الذي يكبر صورة الجسم الوفًا من المرات ولكنهُ صواب في دلالتهِ على الاحياء الصغيرة الضارة وان كان اكثر المكروبات نافعًا غير ضارّ

وقد ثبت الآن أن السبب الاصلي لجانب كبير من الامراض والاوبئة هو انواع خاصة من المكروبات فللطاعون مكروب خاص بهِ وللكوزا مكروب خاص بها وللتيفويد مكروب وللبثرة الخبيثة مكروب ولذات الرئة مكروب وهلمَّ جرًّا . ومن الادواء التي اتضح انها ناتجة عن سمّ مكروبي داء المفاصل او الروماتزم باشكالهِ المختلفة التي تقع في الغالب تحت نوعين نوع حاد يتولد سريعًا ويقضي مدتهُ ويزول في بضعة اسابيع ونوع مزمن يأتي بطيئًا ويدوم اشهرًا وسنين . ويدخل في باب الروماتزم الحمّى الروماتزمية التي تفاجئ المرء بحرارة شديدة فيصيبهُ صداع شديد والم في ظهرهِ ويكثر عرقهُ فوق ما يصيبهُ من الم المفاصل وتورُّمها ويدوم الحال على هذا المنوال اسبوعين الى ثلاثة ثم تزول الحمّى وسائر الاعراض المرافقة لها ولكنها تترك المصاب متكسّرًا كأن عظامهُ دُقَّت في هاون

ولا يظهران داء المفاصل من الادواء المعدية ولا رأى الباحثون مكروبًا لهُ في مفاصل المصاب بهِ ولا في دمهِ لكنهم اعتقدوا ان لهُ مكروبًا مثل غيرهِ ولو لم يروهُ . وهذا هو الواقع غير ان المكروب المسبب لهُ موجود فعلًا لكنهُ لا يدخل المفاصل مباشرة ولا هو خاصٌّ بهِ . واول ما عُرف ذلك في الذين يعتريهم التهاب شديد في مفاصلهم على اثر قرحة زهرية فاذا زالت القرحة زال الالتهاب ايضًا . ثم ظهر ان ثلاثة اربع الذين يصابون بالتهاب في المفاصل وتورم فيها يكونون قد اصيبوا منذ اسبوع الى ثلاثة بزكام شديد في الراس او بتقرح في الحلق او بجرح داخل اينما كان موضعهُ او نحو ذلك من الآفات . فقد يأتي التهاب المفاصل على اثر الزكام او على اثر التهاب اللوزتين او الدفتيريا او ذات الرئة او القرمزية او التيفويد او الدوسنطاريا او التدرن كأنَّ كل آفة من هذه الآفات تمدّ الجسم للروماتزم . فكيف ينتج عن هذه الآفات المختلفة نتيجة واحدة وهي التهاب المفاصل مع ان لكل آفة منها مكروبًا خاصًّا بها

وبعد بحث دقيق وتجارب كثيرة ظهر ان بعض المصابين بداء المفاصل المزمن يكونون مصابين ايضاً بآفة في اسنانهم كخراج في اللثة او في مفرز اللسن او بكرب في اللهاة نقطة متقيحة او يخرج من انوفهم مادة منتنة . واذا شفي مكان القيح ونظف وعولج بمزيلات الفساد زال التهاب المفاصل ايضاً . وعليهِ فالميكروب الذي يسبب فساد الجروح و يكوّن القيح في الدمامل والخراجات والبثور هو الذي يسبب التهاب المفاصل فان سمهُ ينفث في الدم فيجري معهُ الى المفاصل ويتجمع فيها فتلتهب . وقد مضى الآن ست سنوات على هذا الاكتشاف وكان رأي الاطباء مصاباً بالروماتزم المفصلي فتشوا عن بؤرة في جسمهِ يجدون فيها قيحاً فيزيلونهُ وقد وجدوا بؤر القيح هذه في ثلاثة ارباع الذين فحصوهم وكان الروماتزم يزول او يخف بازالة سببهِ . واكثر هذه البؤر يكون في الفم والانف والحلق . ولعلَّ الذي يكون منها في مغارز الاسنان اكثر شيوعاً من غيرهِ . اي ان داء المفاصل حادث في الغالب من آفة في الاسنان من خراج صغير فيهِ مادة . فاذا بقي الخراج مقفلاً انصبت مدتهُ وبعض ميكروباتها في الدم وجرت معهُ الى المفاصل وهناك تجد ما يعوقها عن الجريان فتقف وتأثر المفاصل بها فتلتهب كأنها تحاول محاربتها لقتلها والحرب لا تقوم الاَّ بعمل شاق تعملهُ خلايا الجسم فتتولَّد منهُ حرارة شديدة . فاذا شفي الخراج حتى نزفت المدة منهُ زال ضررهُ هذا

والآن صار الاطباء يبادرون الى فحص الفم والانف والحلق كلما رأوا احداً مصاباً بالروماتزم واستنبطوا مصابيح كهربائية صغيرة جداً يدخلونها في ادق التجاويف ويفحصونها بنورها وقد يدخلون معها مرايا صغيرة تنعكس عنها صورة الخراج اذا تعذَّر على العين رؤيتها مباشرةً . وقد تكون المدة داخل العظام فترى باشعة رنتجن اي بتصوير الجسم كلهِ من جهات مختلفة بهذه الاشعة فيرى بها مكان القيح داخل الجسم او داخل العظام

والخراجات والقروح التي تسبب داء المفاصل لا تنحصر في الفم والانف والحلق بل قد تكون في المعدة والامعاء وفي كل مكان في الجسم يدخلهُ ميكروب الفساد ويعيش فيهِ . ويقال ان نظافة الجسم واوجب الاشياء لتنقية الدم من سمّ الميكروب الفساد التي تدخل الجسم او تلتصق بهِ وبالتالي الى تقليل داء المفاصل

اما نحن فنرجح انهُ لو بحث الاطباء بحثاً استقرائياً مدققاً لوجدوا ان داء المفاصل اكثر انتشاراً بين الذين يكثر اعتمادهم على النظافة و يقلُّ تعرُّضهم للجروح والبثور منهُ بين الذين لا ينظفون وجوههم ولا ايديهم ولا ابدانهم يمشون حفاة بين الاشواك والادغال ويخرطون القتاد باكفهم ولو تجرحت اصابعهم وقلَّ تخمر ابدانهم من الخراجات والبثور واذ خدشت واحمرَّت

بضعف فكثيراً ما يلجأون الى الكي أو الخلال لكي يكون في اجسامهم بثرة صناعية تنزفيها. وهم يداوون مواشيهم بالخلال كما انسوا منها تشبثاً في مفاصلها. فاما ان الخراج المفتوح ينفع ولا يضر اذا ان خلايا الدم السليم لتغلب على كل مكروبات الفساد و تميتها مهما كانت

حيل المتمارضين

يتذرع كثيرون من المرضى بمرضهم للكسب وتحصيل الرزق. وقد يكون مرضهم عادياً لا يخشى عليهم منهُ ولكنهم يتظاهرون باشتداد وطأتهِ عليهم. او يكون لوباً تعتريهم في اوقات متباعدة فيقربون ما بينها استدراراً لاكف البر. عرفنا رجلاً اجنبياً في هذه العاصمة أصيب منذ ٢٠ سنة وهو شاب بشيء من الشلل تركهُ في ارتجاف اشبه بالرعشة في يد الاشل. فاستأجر غلاماً يتوكأ عليهِ وجعل يدور على القهوات والمجتمعات العامة يستعطي فلا يكاد مسئول يردهُ لان هيئتهُ كانت تستنزل الشفقة من اجمى القلوب واجفاها وتستخرج الزلبق من كف البخيل. وهو لا يزال الى الآن على العهد القديم يدور على القهوات ولكن الناس سئموهُ بل منهم من تحدثهُ النفس بصفعهِ ولعنهِ اعتقاداً بانهُ اصبح غنياً عن السؤال لما اجتمع عندهُ من المال وبأنَّ ما يبدو عليهِ الآن من الاهتزاز والاضطراب انما هو مصطنع كاذب

ورأينا فتى قد انطرح على باب كنيسة والناس خارجون من الصلاة وجعل يرغي ويزبد ويشنج تشنج المصروعين ثم انتهت نوبتهُ باسرع مما تنتهي نوبة المصروع عادة فجعل الناس يتغوثونهُ بما جادت بهِ نفوسهم وقد عرفنا فيما بعد انهُ مصاب بالصرع حقيقة ولكنهُ كثيراً ما يتظاهر بهِ في مثل الحادثة المتقدمة تكدّياً ويقصّر النوبة عمداً فلا يفوتهُ احسان المحسنين

وما يقال عن الناس عامة يقال عن الجنود خاصة فان منهم من يتمارض حتى في زمان السلم هرباً من الخدمة العسكرية. وقد يبلغ خوف الخدمة العسكرية من بعض الناس في بعض البلاد ان كان الواحد منهم يفقأ احدى عينيهِ او يقطع سبابة يمناهُ تخلصاً من الخدمة. ومنهم من يتظاهر بالطرش ولكن يكشف امرهُ ببلادتهِ وذكاء ضابطهِ. فقد زعموا ان جندياً ادعى الطرش فاطلقوا وراءهُ بندقية فلم يهتز للصوت ولا ظهرت عليهِ علامة ما تدلُّ على انهُ سمعهُ فلما رأى الضابط المنوط بتجربتهِ ذلك منهُ امرهُ بصوت مخفض ان ينصرف